

تغتسل، ثم تقدم " المحاخام " أمام الرب، في خيمة الاجتماع يمامتين أو فرخي حمام، واحدة منهما ذبيحة خطية والأخرى محرقة.

معتقدات العرب قبل الإسلام:

أما العرب في جاهليتهم، فقد كان اعتقادهم المتوارث عن هذا الأمر، لا يختلف في كثير أو قليل، عن اعتقاد المجوس والميهود ومعاصريهم، فكانوا يعتزلون المرأة إذا حاضت اعتزلاً تاماً إلا يؤكلوها ولا يجالسوها على فراش ولا حتى يساكنوها (المقرطبي) ذلك أن عقيدتهم لم تكن أيضاً ثمرة العقل، ولما كانت نتاجاً للفكر، بقدر ما كانت تراثاً متواتراً خلفه الخيال ورسخ في الوجدان على مر السنين، وكانت المرأة عندهم إذا حاضت، فهي " عارك " و" فارك " و" كابر " و" دارس " و" طامث " و" ضاحك " و" حائض " (المقرطبي) ولهذه التسميات جميعها - فيما خلا اللفظ الأخير - دلالتها في اللسان العربي، إذ يستدل منها إنهم كانوا يعتقدون أن هذا الأمر الذي يعتري المرأة مرة في كل شهر، وبصفة دورية، هو بمثابة " فرك " لمواد ضارة وسامة في بدنها " طمست " عليه والامت به فغطته، ولو أنها بقيت فيه لا ضرت به وأهلكته، وهي امرأة " ضاحك " أي منفرجة الأنسجة متفتحة المسام، كي تتخلص من تلك السموم وهي " عارك " و" دارس " وفيهما معنى المغالبة لهذه المواد وهي أيضاً " كابر " لأنها تكبر هذا الأمر لما فيه من خلاصها من السموم والأضرار وهي كذلك " طامث " والمطمث من المدنس والمس والفساد، (المقاموس المحيط الجزء الأول ص 169، 215، 227، الجزء الثاني ص 311، 315، 313، 329).

تلك كانت نظرة العرب في جاهليتهم، لهذا الأمر، وذلك كان اعتقادهم، ولقد كان اعتقادهم ذلك راسخاً في نفوسهم، مستقراً في وجدانهم، ونهج نهجهم أو ربما نهجوا هم نهج - المجوس والميهود دون النصارى - وهم أهل كتاب - إذ لم يرد في كتابهم (الإنجيل) ذكر لهذا الأمر، من قريب أو من بعيد، ومن ثم فهم لا يبالون به ولا يأنهون به. ويجمعون نساءهم أباؤه.

الإسلام يصحح المفاهيم:

وفي يثرب.. طيبة الطيبة.. المدينة المنورة.. وفي العقد الأول من القرن السابع الميلادي، كان يعيش أخلاط من الناس، لهم مذاهب شتى ومعتقدات متباينة.

كان يعيش المسلمون، وهم وقتئذ قلة.. المهاجرون في مكة، الذين أخرجوا من ديارهم، بغير حق، إما أن يقولوا ربنا الله والأنصار من أهل المدينة من الأوس والخزرج وعرب يثرب، وكانت تعيش فلول يهود، وفدوا إليها من أرض كنعان قبل ما يقرب من خمسة قرون خلت، فرارا من وطأة الرومان الباطشة، وكانت تعيش قلة من النصارى، وكانت تعيش بضعة من المجوس، وكانت تطراً عليها أجناس أخرى، نفذ وقوداً طارئاً في تجارة لها.

وكان بدهياً، والحال على ذلك النحو، أن يتساءل خلاط الناس على اختلاف مذاهبهم، وتباين عقائدهم، عن موقف الإسلام وهو الدين الجديد الذي لم يكن قد وقر في قلوب الغالبية بعد - من هذا الأمر وقد روى أن بعض المسلمين هم الذين توجهوا بالسؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم عما يحل لهم وما يحرم عليهم من نساءهم حال حيضهن، فنزل في ذلك قرآناً يتلى.

قَالَ تَعَالَى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النَّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة 222.

الإعجاز في استخدام لفظ المحيض:

(عن تفسير المنار) ولمفظ المحيض مصدر من حيض بمعنى سيل، ويطلق على ماء الحيض ومكانه والحدث الذي خصص هذا المكان له، كالمجيب والمبيت والمغيب، فإذا نحن قلنا " جاء المغيب " دل ذلك على الزمان، وإذا قلنا " توجهت الشمس إلى المغيب " دل ذلك على

المكان، وإذا نحن قلنا "أظلمت الدنيا بالمغيب" دل ذلك على حدث الغياب ذاته.

واختيار القرآن الكريم للفظ "المحيض" من بين الأسماء الأخرى التي جرت على لسان العرب، وجميعها ما خلا اللفظ القرآني تحمل معنى السوموم، له حكمة بالغة لا يجوز أن تحفي على فطنة المسلم الدواعي.

الحكمة من تقديم العلة على الحكم:

كما أن تقديم العلة على الحكم وترتيبه الحكم على العلة

في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي فَاعَ تَزَلُّوا)

إنما جاء لطفاً منه سبحانه ليؤخذ بالمقبول من المتساهلين الذين قد يرون أن الحجر عليهم في أمور غرائزهم وشهواتهم تحكماً ويعلم أنه حكم للمصلحة، وليس للتعبد كما هو الحال عند اليهود.

معنى قوله تعالى (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ):

والمراد من النهي عن القرب في (وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ) النهي عن لائمة القرب الذي يقصد منه وهو الوقاع، والمعنى أنه يجب على الرجال ترك غشيان نساءهم زمن الحيض لأن غشيانهم سبب للأذى والضرر، وإذا سلم الرجل من هذا الأذى فلا تكاد تسلم المرأة لأن الغشيان يزحج أعضاء النسل فيها إلى ما ليست مستعدة له ولما قدرة عليه لاشتغالها بوظيفة طبيعية أخرى وهي إفراز الدم المعروف.

وقد أضافت الآية الكريمة تأكيد الحكم إذا أمرت باعتزال النساء في زمن المحيض وهو كناية عن ترك غشيانهن فيه ثم بنيت مدة هذا الاعتزال بصيغة النهي والحكمة من التأكيد هي مقاومة الرغبة الطبيعية في ملامسة النساء، وإيقافها دون حد الإيذاء.

وكان يظن بعض الناس أن الاعتزال وترك القرب، حقيقة لا كناية وإنما يجب الابتعاد عن النساء في المحيض وعدم القرب منهن بالمرءة، ولكن النبي بين لهم أن هو الوقاع وقال: "اصنعوا أي شيء إلا الجماع" رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.

وفي حديث خزام بن حكيم عن عمه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يحل لي من إمرأتي وهي حائض؟ قال: لك ما فوق الإزار أي ما فوق السرة. وإله أبو داود.

معنى قوله تعالى (حَتَّى يَطْهُرْنَ):

والمطهر في قوله تعالى: (حَتَّى يَطْهُرْنَ) انقطاع دم الحيض وكن نساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة فيها الكرسف، فيه المصفرة، فتقول: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء. تريد بذلك المطهر من الحيضة. البخاري الجزء الأول - باب إقبال المحيض وأدباره.

معنى قوله تعالى (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ) والمتطهر في قوله تعالى، فإذا تطهرن، هو الغسل بالماء. فإن عائشة رضی الله عنها أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل: قال: " خذي فرصه من مسك، فتطهري بها " قلت: كيف أتطهر؟ قال: " تطهري بها " قالت: كيف؟ قال " سبحان الله.. تطهري " فاجتذبتها إلى فقلت: تتبعي بها أثر الدم " البخاري، الجزء الأول - باب الطيب للمرأة عند غسلها من المحيض.

وقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف أغتسل من المحيض: قال: (خذي فرصه ممسكة فتوضئي ثلاثا " ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم استحيا وأعرض بوجهه، فأخذتها، فجدبتها، فأخبرتها بما يريد النبي صلى الله عليه وسلم البخاري الجزء الأول - باب غسل المحيض. وفي تفسير ابن كثير: وقد اتفق العلماء على أن المرأة إذا أنقطع حيضها لا تحل حتى تغتسل بالماء، وقال ابن عباس (حتى يطهرن) أي من الدم (فإذا تطهرن) أي بالماء، كذا قال مجاهد وعكرمة، والحسن ومقاتل ابن حيان والليث بن سعد وغيرهم. وفي تفسير القرطبي: فإذا تطهرن، يعنى بالماء، وبه ذهب مالك وجمهور العلماء، وإن الطهر الذي يحل به جماع الحائض المتي يذهب عنها الدم هو تطهرها بالماء، كظهور الخبث، ولما يجزئ من ذلك تيمم، وفي رأى آخر يحل التيمم لعدم وجود الماء.

مجمل القول:

1- أن الفهم الصحيح للحقيقة القرآنية، وللمباشرة المعجزة والمتمثلة في دقة اختيار اللفظ القرآني، دون باقي الألفاظ التي جرت على لسان العرب، ثم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها، في الطهر والتطهر، لا يدع مجالاً لادني شك في أن المباشرة الزوجية أثناء الحيض وفي مكانة أذى وضرر.

2- أن الأذى الذي نهى الحق تبارك وتعالى عن المباشرة الزوجية وقت الحيض بسببه، لا بد وأن يكون أذى موضعياً في ذات المكان، وليس أذى عاماً في جسد المرأة جميعه، ومن ثم في إفرزاته من عرق ولعاب وما إلى ذلك كما وقر في نفوس الناس جميعاً نتيجة لما توارثوه على مدى تاريخ البشرية الطويل المظلم، قبل بزوغ شمس الهداية.

3- أن الحائض لا تحل لزوجها إلا بعد (الطهر) وهو انقطاع الدم وتوقف سيله تماماً ثم (التطهر) وهو الغسل بالماء، والغسل يكون ثلاث مرات، تتبعاً لأثر الدم، والتطيب بفرصه (قطعة قطن) ممسكة (أي مبللة بالمسك) تتببع بها الحائض أثر الدم ثلاث مرات، وهذا وصية من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم نعد من قبل السنة المشريفة.

4- أحل القرآن الكريم ما حرّمته اليهود وحرّم ما أحلته النصارى، ومن ثم لا بد وأن يكون في ذلك حكمة إلهية فيها المصلحة لصحة الإنسان، ويستحيل معها على الوعي الإيماني قبول بأن هذا التحليل وذلك التحريم، وقد جاء لهما القرآن الكريم لمجرد الوسيطية فحسب، دون حكمة تستوجب التأمل والتفكير، ثم البحث العلمي تلبيه لقوله تعالى (وَمَا لَنَا لِمَ لَمْ نُذِرُوا لِي نَضْرُوا كَأَنَّهُمْ يَلْمِزُونَ) (الفرقة من دم طائفة لّي تافقوهوا في الدين ولي نذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (التوبة 122).

ولقد أدركت يهود المدينة المنورة على عهد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ما يمكن أن يحدثه الفهم الصحيح للحقيقة القرآنية على الله كذباً، فقالوا عندما سمعوا هذه الآية الكريمة: (هذا الرجل يريد ألا يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه) تفسير الفخر الرازي ج6 ص66.

مزاعم المكابرين:

كثيرون من أمثال جواتييه 1900م (2) ويورسيه 1900م (3) تلمسوا سموم الزرنيخ واليود، وهم من أشد السموم فتكا، في إضرابات جسم الحائض، من عرق ولعاب وما إلى ذلك.

كما أعلن ماخت 1943م (4) انه وجد في لعاب وعرق الحائض، وكذلك في دورتها الدموية، مواد سامه، توقف نمو النبات المستزرع، كما أن ملامسه الحائض للخضراوات والزهور تتسبب في عطبها وذبولها، وتحول دون حفظها.

وقد أعلن جورج فان سميث والمسيدي اوليف واتكسن سميث 1940-1950م (5-12) أن وفاة حيوانات الاختبار، بعد حقنها بكميات ضئيلة من دماء الحيض، اسمياها وقتئذ بالسموم المحيضية.

لكن رينولدز 1947م (13)، لم يستطيع أن يدارى ارتياحه فيما خلص إليه ال سميث من نتائج، حيث أعلن عن عدم اقتناعه بأن حدثا وظيفيت كالحيض، يناهض أو يرتبط بوجود سموم، وهو ما يناقض فطرة ما جبل عليه خلق الإنسان وتكوينه، وقد حذا حذوه فيما ذهب إليه كثيرون غيره آنذاك. الأمر الذي حدا ببرنارد زونذك 1953م (14) إلى أن يعزو وفاة الحيوانات إلى تجارب ال سميث إلى احتمال وجود الجراثيم في دماء الحيض، وليس لوجود سموم فيها.

على أن الغالبية الغالبة من مؤلفي كتب أمراض النساء من الأوروبيين والأميركيين يوردون في كتبهم ما أورده المؤلف الإنجليزي جيفكوت 1967م (15)، صاحب كتاب (أسس أمراض النساء) والذي يدرس لطلاب الطب في مرحلة التأهيل لدرجة البكالوريوس، وما بعده، في جميع جامعات العالم ويعتبر المرجع الأول لجميع المشتغلين بصناعة الطب في هذا الفرع من التخصص إذ أورد في كتابه مترجما بالنص:

1- (أن بعض الشعوب تلقن بناتها منذ الصغر وجوب الغسل المهبل بعد كل حيضة وليس هذا الاعتقاد إلا اعتقادا قديما متوارثا عن خبث وندس الحائض ولما ضرورة له لأن الغسل بعد الحيض أو في أي وقت آخر يشكل بصفة عامه خطورة بالغة، حيث أنه يزيل معه الوسائل الوقائية الطبيعية).

2- (أن المباشرة الزوجية في أثناء الحيض تمارس بصفة عامه، وبصوره طبيعية وبأكثر كثيرا مما هو معروف).

3- (أن فترة الحيض تعتبر جزءاً من فترة الأمان ولقد جاء النص اليهودي بتحريم المباشرة الزوجية أثناء الحيض وبعده بسبعة أيام موافقا تماما لما هو معروف الآن بفترة الأمان، وذلك ليقصر المباشرة الزوجية على فترة الإخصاب، وهي فترة الاباضة في منتصف الدورة الشهرية).

4- (أن الادعاء المقاتل بخطورة المباشرة الزوجية أثناء الحيض تحسباً لتهتك الأنسجة البالغة الطراوة في ذلك الوقت من ناحية، وتجنباً

لزيادة السيل والذي قد يحدث للإثارة الجنسية من ناحية أخرى، ليس صحيحاً أيضاً من الوجهة العلمية ولما يزيد عن كونه مزاعم نظرية.

5- (طالما أن الزوجين سليمان، وخاليان من الأمراض، فلا خوف على أيهما من أي ضرر، وإذا ما مورست المباشرة الجنسية في المحيض).

6- (لا تستحب المباشرة الجنسية وقت المحيض، لا شئ، ألا لوجود الدم فقط ولزوجته هي التي قد تحول دون تمام المنشوة المرجوة من العملية الجنسية، وحتى يمكن التغلب عليها قبل البدء في المباشرة بالغسل، ثم يوضع حاجز، يحجب سيل الدم مؤقتاً وإلى حين)

وسنفرّد رداً خاصاً على جيفكوت في متن الدراسة الطبية.

اجتهادات الغيورين:

كثيرون من الذين تدفعهم الغيرة على الإسلام فيقولون أن العلم الحديث قد أثبت كذا وكذا وهو ما أشار إليه القرآن الكريم منذ قرون خلت، يقعون في خطأ رغم سلامة النية ونبل القصد، وكان الأجدد بهم والأحرى أن يقولوا لقد أشار القرآن الكريم إلى كذا، واستلهاماً من تلك الإشارة وذلك التوجيه الإلهي، كان اجتهادنا نحن المسلمين في الوصول إلى النتيجة الضلالية قبل غيرنا من المسلمين. ذلك أن العلم الحديث، شرقياً كان أو غربياً قد يصل إلينا حاملاً في طياته وبين جوانحه ما ليس من ديننا، وقد دس السم في العسل، كما يقولون، في خبث خبيث ومكر شديد ونحن في غفلة عن الواقع الفكري. وليس أدل على ذلك من مؤتمر طبي عقد في مدينة نيويورك 1949م، وقد شارك في أعماله مائة وسبعة عشر طبيباً من أساطين الطب وأساتذته في العالم آنذاك، جلهم من اليهود، وقد ناقش المؤتمر في ذلك المؤتمر موضوع الحيض تحوى سموماً فتاكة وقد جمعوا بحوثهم - وكان جلها قد نشر من قبل في كتاب نشره على العالم وقتئذٍ وقد تلقف بعض علماء المسلمين وبعض أطبائهم الطعم وانزلقوا إليه بقولهم أن القرآن الكريم أشار إلى ذلك منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً وما دروا أن الفهم العلمي الصحيح للحقيقة القرآنية في هذا الأمر يتعارض مع تلك الإسرائيليات.

- وللوقوف على ذلك راجع ما كتبه الدكتور عبد العزيز إسماعيل، في كتابه (الإسلام والطب الحديث ص 28/1938 م) حيث ذكر أن دم الحيض يحتوي على مواد سامة.

- وراجع كذلك ما قاله د. محمد توفيق صدقي في كتابه (دروس سنن الكائنات ج1 ص 117/1333هـ).

- وفي كتابه (الحلال والحرام في الإسلام ص 151/1960م في العلاقة الحسية بين الزوجين) يذهب الدكتور يوسف القرضاوي إلى أن الإسلام وقف كشأنه دائماً - موقفاً وسطاً بين المتطرفين في مباحة الحائض إلى حد الإخراج من البيت، والمتطرفين في المخالطة إلى حد الاتصال الجنسي. وإن الطب الحديث قد كشف ما في إفرازات الحيض من مواد سامة تضر بالجسم إذا بقيت فيه كما كشف الأمر باعتزال جماع النساء في الحيض.. (انظر كتاب الإسلام والطب الحديث للمرحوم الدكتور عبد العزيز إسماعيل).

اجتهاد العلم:

قام المكاتب 1976م (16) بدراسة المتغيرات في مجهريات المهبل ودرجة التآين الحمضي، خلال دورة الحيض، تلمساً للتفسير العلمي السليم لأذى المحيض، استلهاماً من الحقيقة القرآنية وإلقاء الضوء على مزاعم غير المسلمين في هذا الصدد.

الطريقة والمواد: تتم انتقاء خمسين سيدة (27 لم يسبق لهن الولادة، و23 سبق لهن) وجميعهن سليمات، صحيحات، خاليات من الأمراض من الناحية الباطنية والنسائية وقد ترددن فرادى على العيادة الخارجية بمستشفى الجلاء التعليمي للولادة بالقاهرة في أربع زيارات قبل وأثناء وبعد الحيض، ثم في منتصف الدورة الشهرية.

وقد أخذت من كل واحدة منهم في كل زيارة مسحة من أسفل المهبل وأعله وخزعة من البطانة الرحمية ثم عينة بول وقد قيست درجة التآين الحمضي للمهبل أيضاً في كل زيارة.

وقد تم فحص العينات بعد زرعها على مزارع مختلفة وعمل التحليلات المتباينة لبيان جميع أنواع المجهريات في أسفل وأعلى المهبل، وفي البول وعلاقة ذلك بوقت الدورة ودرجة التآين الحمضي في المهبل وكذلك في البول.

النتائج:

أوجز المكاتب نتائج الدراسة في الآتي:

1- تكشف له وجود دورة لمجهريات المهبل ليست منفصلة عن دورة هرمونات المبيض فتواجد الجراثيم المضارة من ناحية أخرى، تسيران في خطين متضادين فعندما تكثر واحدة تقل الأخرى، وفي فترة الحيض توأجت الجراثيم المضارة بأعداد رهيبه في حين اختفت عسويات دودلين تماماً.

2- أثناء فترة الحيض توأجت الجراثيم المضارة في أسفل المهبل في ين بدا الجزء العلوي منه خالياً منها تماماً.

3- توأجت أنواع أخرى من الجراثيم المضارة أثناء فترة الحيض، بخلاف تلك المتوأجة أصلاً وهذه هي جراثيم مجرى البول والمشرح.

4- جرثومة واحدة غير ضارة بطبيعتها اكتسبت خاصية الضرر وقت الحيض وفي بعض الحالات.

5- ازدهر طفيل المترأيكومونس وقت الحيض وتكاثر أربعة أضعاف ما كان عليه. ومن عجب انه بدلاً من أن يبقى في أسفل المهبل مكانه الأثير فإنه تسلق إلى الجيوب المهبلية في أعلى المهبل.

6- لوحظ أن تعدد الجراثيم المضارة عموماً في السيدات اللاتي لم يلدن أقل منها في أولئك اللاتي سبق لهن الولادة، وكذلك درجة التآين الحمضى فهي تميل إلى الحامضية في المجموعة الأولى عنها في المجموعة الثانية.

المناقشة:

وضح من هذه الدراسة أن عصويات دودرلين، تتواجد بصفة طبيعية في المهبل، وهي تعتبر الحارس عليه ضد الجراثيم المضارة ذلك أن المهبل طبيعة خاصة في تكوينه وخلقه. إذ تبطن جدره الداخلية طبقة كثة من المنسج الطلائى الذي لا يحتوى على خلايا إفرازية ولما على أهداف وهذه وتلك منوط بها في القنوات الهضمية والبولية والتنفسية طرد الجراثيم إلى الخارج. كذلك حرم المهبل من ميزة الانتقباضات والمتقلصات التمرجية كما هو الحال في الأمعاء.

- ليس من وسيلة دفاع للمهبل إذن يواجه بها الجراثيم المضارة ويتلخص منها ويطردها إلى الخارج ويمنع دخولها إلى الرحم ثم إلى القنوات وبالتالي إلى فراغ البطن الداخلي ألا وجود ذلك (المشرطي) الذي هو عصويات دودرلين، وتلك العصويات تعيش على السكر المخزون في خلايا جدر المهبل وهذه الخلايا تقع تحت تأثير هورمونات المبيض من ناحيتين:

الأولى: نسبة تخزين وتركيز السكر بها حيث وجد أن أعلى نسبة تركيز للسكر داخل تلك الخلايا تكون في منتصف الدورة الشهرية وتقل تدريجياً مع انخفاض نسبة الهرمونات المبيضية حتى تتلاشى تماماً قبل الحيض بساعات وأثناءه.

الثانية: انفصال هذه الخلايا من جدر المهبل حيث تنفصل هذه الخلايا كجزء من عملية التحديد الدائم وقد وجد أن أعلى نسبة لانفصال هذه الخلايا تحدث في منتصف الدورة الشهرية ثم تقل تدريجياً تصل إلى الدرجة الدنيا قبل الحيض بساعات ثم أثناءه.

وعلى ذلك فإن أعلى نسبة لتركيز السكر في المهبل تحدث في منتصف الدورة وأقل نسبة هي قبل الميض مباشرة وأقل منها إلى درجة العدم تكون أثناء الحيض وبالتالي فإن عصويات دودرلين تلك تصل إلى قمة تكاثرها ونشاطها في منتصف الدورة وقد وصل معدلها في تلك الدراسة إلى 10×5 مم.3 ثم تقل وتضعف قبل الحيض مباشرة.

- وعند حدوث الحيض ونزول الدم فإن درجة التآين الحمضى للمهبل تتغير من الحامضية إلى القلوية فتموت تلك العصويات ويأخذها تيار الدم معه إلى خارج المهبل حيث وجدت أعدادها لا تزيد على 10×0.1 مم3 في الأيام الأولى للحيض وفي أسفل المهبل فقط أما في الأيام التالية فقد وجد المهبل خالياً منها تماماً، ذلك لئلا، موتها قد أعقبه كنسها إلى الخارج بواسطة تيار الدم.

- في هذا الوقت بالذات وقت الحيض تكون الفرص كلها سانحة والظروف كلها مهيأة تماماً لنمو وتكاثر ثم لنشاط الجراثيم المضارة.

- وذلك لأن عصويات دودرلين تول السكر إلى مض اللبنيك وهو المقاتل للجراثيم المضارة، هذه واحدة.

والمأخرى أن وجود تلك العصويات نفسها يكبل نمو الجراثيم المضارة ويقف دون نشاطها ويحول دون تكاثرها بطريقة مازال يكتنفها شئ من غموض.

- وفي غياب تلك العصويات وتبدل درجة التآين الحمضى إلى القلوية وفي وجود الدم الذي يعبر الغذاء المشهى للجراثيم المضارة فإنها (الجراثيم) تجد المرتع المخصب للنمو والتكاثر ليس هذا فحسب وإنما تدعو صويحياتها من جراثيم الشرج وجراسيم مجرى البول والمشرطى غائب وليس أشد غدراً من جرثومة ضارة.

- وقد وجد أن هذه الجراثيم المضارة تزداد في أعدادها حيث يصل عددها إلى 10×6 مم3، وفي أنواعها أيضاً وقت الحيض وليس من سبيل يمنع دخولها إلى جدار الرم المتهتك في هذا الوقت بالذات ولما نفاذها إلى داخل فراغ البطن ولما إلى اقتحامها الأنسجة الرخوة والبالغة الطراوة في تلك الآونة الحرجة سوى شئ واحد فحسب ذلك هو تيار الدم المضاد الآتى من أعلى إلى أسفل.

- ليس من الحكمة إذن في شئ ولما من المنطق في كثير أو قليل معاندة الطبيعة باقتحام حاجز الدفاع الأوحد والباقي للمحيض حيث تغيب عصويات دودرلين ويكثر نمو الجراثيم المضارة وتضعف أنسجة المهبل والأنسجة المجاورة جميعاً.

- وقد وجد أيضاً أن طفيل التريأيكومونس في وقت الحيض يتضاعف أربعة أضعاف وهذا الطفيل وجد في أعلى المهبل أثناء الحيض متحياً فرصته ومترقباً صيده ومعروف أنه يسبب التهابات في الجهاز البولى والتناسلى للذكر ومعروف أيضاً أن انتقاله إليه لا يكون ألبا عن طريق المباشرة الزوجية واحتمال الإصابة به قائم في ذلك الوقت إذا ما حدثت المباشرة.

- ولقد نص القرآن الكريم والسنة النبوية على شرطي: الطهر (انقطاع الدم) والتطهر بالماء لاقتفاء أثر الدم كما أوضح الرسول الكريم الحائض تحل حتى r

وقد وضح أن ذلك يزيل الجراثيم المضارة في الوقت الذي لا يوجد فيه تيار سائل جارى لغسلها طبيعياً، ويهيئ أيضاً الظروف الطبيعية لتواجد عصويات دودرلين مرة أخرى خاصة إذا ما اتبعت السنة النبوية الشريفة بالتطهر بالمسك فهو فضلاً عن طيب رائحته فه قاتل للجراثيم ولم يفرض القرآن الكريم غير الطهر والتطهر شرطين لاستئذان العلاقة الزوجية بعد المحيض ولم يحرم الزوجة ولو مرة واحدة من رغباتها الجنسية التي تصل ذروتها قبل المحيض وبعده وفي منتصف الدورة كما أوضح أندري 1969م (17).

- وقصر القرآن الكريم المكرم على المحيض وقتاً ومكاناً ومباشرة ذلك أنه أذى للزوجين جميعاً ولم يمهله الإسلام عن المحذب والمعطف والملاطفة للحائض بل حث عليها حتى يخفف ذلك عنها بعض ما تعانیه من آلام نفسية وما تقاسيه من أوجاع بدنية.

عودة إلى مزاعم جيفكوت:

وفي معرض الرد على ما أورده المؤلف الإنجليزي جيفكوت - كمثال لما كتبه كثيرون غيره في هذا الصدد - أورد الكاتب:

1- يعارض جيفكوت في مسألة المتطهر، بعد التطهر ويدعى أن الغسل بالماء يزيل الوسائل الطبيعية وهو لذلك يشكل خطورة بالغة ونحن نتفق معه في أن الغسل في أي وقت - ما خلا بعد انقطاع المسيل يزيل الوسائل الطبيعية للمقاومة لأنها موجودة أما بعد انقطاع الحيض فقد فقد وضوح من نتائج الدراسة أن هذه الوسائل الطبيعية غير موجودة بتاتاً في هذه الفترة وليس هذا فحسب بل أن مقومات وجودها أيضاً من السكر ودرجة التآين الحمضي غير متوافرة. هذا فضلاً عن تواجد الأعداد المهيبة من الجراثيم المضارة والتي ما تزال متواجدة في أسفل المهبل حيث توقف تيار المسيل عنها ولم تغسل إلى الخارج بعد.

والأمر يختلف بالنسبة للعداري فقد وضوح من النتائج أن درجة التآين الحمضي وكذلك وفرة عسويات دودرلين تزيد في مجموعة المشاركات اللاتي لم يلدن عنها في مجموعة المشاركات التي سبق لهن الولادة وعليه فإنها في العداري تكون أكثر وأكثر. ومن ثم فإن الغسل المهبل للعداري غير وارد بالمنظر إلى وجود العدرية. ولأن الوسائل الطبيعية أقدر على ممارسة دورها وقبل هذا وذلك فإن المباشرة غير واردة فلو حدث وتأخر استعداد نشاط الوسائل الطبيعية ولو ليوم أو يومين لما كان هناك ما يوجب العجلة.

2- ادعى جيفكوت أن المباشرة الزوجية في المحيض تمارس على وجه العموم - ويأكثر مما هو معروف - على حين كتب المؤلفان المانجليزيان كبرتي وهوفمان 1950 وغيرهما بأن الاعتقاد الراسخ في خطورة المباشرة في المحيض تملأ عدم ممارسته. ولما يوجد ما يبرر انتزاع هذا الاعتقاد نظراً لمساييرته لأصول الصحة العامة.

3- دافع جيفكوت عن تحريم المباشرة عند اليهود وقت الحيض وبعده بسبعة أيام بأن ذلك يوافق تماماً ما هو معروف الآن بفترة الأمان ليقصر المباشرة على وقت الإباضة حتى يتم الإخصاب وتناسي أن نظرة التحريم في اليهودية قائمة على أساس وجود الدم ولما تفرق بين الحيض والاستحاضة كما هو الحال في الإسلام.

ولما علاقة البتة بين تحريم المباشرة في اليهودية وموضع الإخصاب، خاصة وقد عرفنا مؤخراً أن الإباضة قد تحدث في أي وقت حتى في فترة الحيض ذاتها.

4- ناقض جيفكوت ما أسماه (الادعاء) القائل بخطورة المباشرة في المحيض تحسباً لهتك الأنسجة وتجنباً لزيادة المسيل ووصفه بأنه مزاعم نظرية ونصح بالمباشرة في المحيض بالغسل المهبل ووضع حاجز لاحتجاز الدم مؤقتاً وهذه المكابرة بعينها.

ليس هو إهداء كما يقول ولكنه (قرآن كريم) وهو (أذى) لاشك فيه ولما ريب أو وضحت دراستنا أنه أذى جرثومي وليس لتتهتك الأنسجة وأذى للزوج والزوجة جميعاً وليس للزوجة فحسب أما نصيحته بالغسل ووضع حاجز لاحتجاز الدم فلا تحتاج إلى تعقيب حيث تخالف الأساس العلمية والعملية جميعاً.

الاستنباط:

إن ما خلص إليه اجتهاد المكاتب في دراسته من دروس وعبر استلهاماً من الحقيقة القرآنية، هو بأي معيار الأساس العلمي السليم للمحيض صحة وسلوكها. الأمر الذي يجب أن يكون منطلقاً لبحوث متعددة تاليه في هذا المجال.

الاستحاضة:

عرف الفقهاء الاستحاضة بأنها سيلان الدم في غير وقت الحيض والنفاس، أو نقص عن أقله، أو سال قبل سن الحيض (وهو تسع سنين) فهو الاستحاضة.

والمستحاضه لها ثلاث حالات:

1- أن تكون مدة الحيض معروفه لها قبل الاستحاضة، وفي هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هي مدة الحيض، والباقي استحاضة، لحديث أم سلمة أنها استفتت النبي صلى الله عليه وسلم في امرأة تهراق الدم فقال: لتنظر قدر الليلي والأيام التي كانت تحيضهن وقدرهن من الشهر، فتدع الصلاة ثم لتغتسل ولتستقر، ثم تصلى " رواه مالك والشافعي.

2- أن يستمر بها الدم ولم يكن لها أيام معروفه، إما لأنها نسيت عاداتها، أو بلغت مستحاضة، ولما تستطيع تمييز دم الميض، وفي هذه الحالة ستكون حيضها ستة أيام أو سبعة على غالب عادة النساء، لحديث حمنة بنت جحش قالت: كنت استحاض حيضه شديده كثيره، فجأت رسول الله صلى الله عليه وسلم استفتيه واخبره، فوجدته في بيت اختى زينب بنت جحش، فقلت: يا رسول الله إني أستحاض حيضة كثيرة شديده، فما ترى فيها؟ وقد منعتني الصيام والصلاة؟ فقال: " انعت لك الكرفس (أى اصف لك القطن) فإنه يذهب الدم " فقالت: هو اكثر من ذلك، فقال: فتلجمي (أى شدى خرقة مكان الدم على هيئة لجام) فقالت: إنما اشج ثجا، فقال: سأمر بك بأمرين أيهما فعلت أجزأ عنك من الآخر فأن قويت عليهما فأنت اعلم فقالت: إنما هي ركضه من ركضات الشيطان، فتحيض ستة أيام إلى سبع أيام في علم الله، ثم اغتسلي، حتى اذا رأيت انك قد طهرت واستنقيت، فصلى أربعاً وعشرين ليله أو ثلاثاً وعشرين ليله وأيامها، وصومي فأن ذلك يجزئك، وكذلك فأفعل في كل شهر، كما تحيض النساء، وكما سطرهن بمقليات حيضهن وطهرن وان قويت على أن تؤخرى الظهر وتعجلى العصر، فتغتسلين ثم تصلين الظهر والعصر جمعاً، ثم تؤخرين المغرب وتعجلين العشاء، ثم تغسلين وتجمعين بين الصلاتين فأفعلين، وتغتسلين مع الفجر وتصلين، وكذلك فأفعلين، وصلين وصومي إن قدرت على ذلك، قوال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذا أعجب الأمرين إلى " رواه احمد والترمذى "

3- أن لا يكون لها عادة، ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض وفي هذه الحالة تعمل بالتمييز، لحديث فاطمة بنى ابى حبيش، انها كانت تستحاض فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا كان دم الحيض فإنه اسود يعرف، فإذا كان كذلك فامسكى عن الصلاة وإذا كان الآخر فتوضئ وصلين فانما هو عرق.

أحكام المستحاضة:

1- لما يجب عليها الغسل لشئ من الصلاة، ولما في أى وقت من الأوقات، إما مرة واحدة حينما ينقطع حيضها، وبهذا قال جمهور العلماء.

2- يجب عليها الموضوء لكل صلاه، لقوله صلى الله عليه وسلم في رواية البخاري: " ثم توضع لكل صلاه ولما يجب الما يحدث اخر.

3- إن تغتسل فرجها قبل الموضوء، وتحشوه بخرقه، أو قطنه، دفعا للنجاسة، وتقليلها لها، فإذا لم يندفع الدم بذلك شددت مع ذلك على فرجها وتلجمت، ولما يجب هذا وإنما هو المأولى.

4- أما تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة عند الجمهور، إن طهارتها ضرورية، فليس لها تقديمها قبل وقت الحاجة.

5- يجوز لزوجها أن يطأها في الحال جريان الدم، عند جمهور العلماء، لأنه لم يرد دليل بتحريم جماعها، قال ابن عباس " المستحاضة يأتيتها زوجها، إذا صلت " الصلاة أعظم (رواه البخاري) يعنى إذا جاز لها أن تصلى ودمها جار وهى أعظم ما يشترط لها الطهارة، جاز جماعها، وعن عكرمة بنت حمزة أنها كانت مستحاضة، وكان زوجها يجامعها (رواه أبو داود والبيهقى والنووى).

6- للمستحاضة كم الطهارات، فتصلى وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات وهذا مجمع عليه من جمهور العلماء.

References

1- Quated by LAURENCF. W.R (1943) Gy - naecology ,Text Book W.B Sounders Co.

2- GAUTIER (1990) ,Compt. rend. Acad.d Sc., Paris,p.362.

3- BOURCET (1990),Compt.rend ,Acad.d.sc.,Paris, P. 493.

- 4- MACHT , D.I.(1943): "Further Historical and Experimental studies on Menstrual Toxin " Amer J. Med. sc., 206:281.
- 5- SAMITH ,O.W. and Smith G.V. (1940) "Menstrual Discharge of Woman I. its toxicity in rats " Exper.Biol & Med.,44:100.
- 6- SMITH. O. W. and Smith G. V. (1940), "Menstrual Discharge of Woman II Its progesterone Stimulating Effect in Mature Rats " Exper. Biol & Med.,44:104.
- 7- Smith.O.W and smith G.V. (1944) "Further Studies on the Menstrual Discharge of Women " Exer. Biol. & Med., 56: 285.
- 8- SMITH , O.W. and Smith G. V. (1945): " Evidence that Menstrual Toxin and Canine Necrotoxin are Identical " , Exper. Biol. & Med. 59: 116
- 9- SMITH O.W. and Smith G.V.(1945) "A fibrinolytic Enzyme in Menstruation and Late pregnancy Toxemia " . Science,102:235.
- 10- SMITH G. V (1946)"Further studies on the Menstrual toxin during Menstruation and Toxemia of Late Pregnancy" Exper. Biol &Med.62:227.
- 11- SMITH ,O,W (1950) "menstrual Toxin experimental studies" in "Menstruation and Its Disorders " . Engle Charles C.Thomas , spring field , III
- 12- SMITH ,C.V (1950) Menstrual Toxin Disorders" Ed.E.T Engle. Charles C. Thomas, Springfield III
- 13- REYNOLDS , S.R.M (1947): "The physiologic Basis of Menstruation " J. Amer. Med.Ass., 135-552
- 14- ZONDEK B. (1953),"Does Menstrual Blood contain a specific toxin ? Amer J.Obst& Gyn. 65: 1068.

15- JEFFCOATE ,T.N,A (1967) ,"Priciplesof Gynaecology" Butterworhte - London. Ed. III.

16- Abd El - latif , M.,Hefnawy. F. SOLIMAN A. A Kandil , O. F HABLAS , R,A., SAMI, G.E., (1976): " Veginal flora during the menstrual cycle, An Approach to clarity Islamic view concerning menstrual hygiene'

Thesis submitted to the faculty of medicine, Al- Azhar University for the M.D. degree in Obstetrics and Gynaecology.

17- Undry J.R. et al (1969):" Distribution of coitus in the Menstual Cycle" Nature, (London), 222: 1063.

18- Crts, E. and Hoffman, J. (1950) " Hygeine at the time of Menstruaion "

Gynaecology- Sounders Co. Ed. VI